(العدد الثامن) (السنة الاولى)

المؤيد

(١٥ شوال سنة ١٣١٦) (٢٦ فبراير سنة ١٨٩٩)

{اشكال الامة في شكل لغتها}

ان الذي ينتقل من هـذا القطر العربي الي أى مدينة أو قرية أوربيـة فيسمع خاصـتها وعامتها يتكلمون بلغة قومهم الفصحى ويعرف ان ماينطق به أسافلهم فضلا عن نبلائهم وعقلائهم المهـذبين هو لغة فصيحة تكتب وتقرأ بلا تصحيح ولا تقويم لتأخذه دهشة الاستغراب والاسف على لغتنا العربيـة التى أخنى عليها الزمان وتقهقرت معنا فصارت من اللغات الضائعة التائهة وكادت أن تتلاشي لولا أن الله قدر أن تحفظ في السطور وان ضاعت من الصدور

نعم نحن لنا لغة سامية نامية كافية للتعبير بما يخالج الضمير غنية بكثرة مفرداتها وتركيباتها مستقلة بوفرة تشبيهاتها ولكن ياللاسف ليست لنا أمة تنطق بتلك اللغة فما فائدة تلك اللغة بل ما فائدة هذه الامة الجاهلة اذا قيست بأمة أوربية والاحصاء أكبر شاهد على مانقول ففي الامم الاوربية قلما يوجد خمسة فى المائة يجهلون القراءة والكتابة أما نحن ففينا خمسة وتسعون في المائة يجهلونهما فيالضيعة الامل ويالخيبة العمل اذا لم تتلاف هذا التلف وتقوم هـذا المعوج ونصلح هذا الفساد

ولما كان لابد لنا من تشخيص الداء ليسهل وصف الدواء أردنا أن نوضح الاسباب التى أبعدت أبناء الامة العربية اليوم عن النطق والكتابة باللغة الفصحى بل أبعدتهم عن فهم معانيها اذا تليت عليهم فنقول

اللغة العربية لغة العرب وهم قوم كانوا ينطقون باللغة الفصحى فصغيرهم وكبيرهم وغنيهم وفقيرهم ونساؤهم ورجالهم كانوا يعرفون لغتهم حق المعرفة حتى ان شعراءهم كانت تنطق بالشعر ذى المعانى البليغة امام عامتهم فكانت العامة تخر سجداً لها وما سجدت الا لفهمها ما دق من تلك المعانى البليغة التى خص الله بها شعراءهم وخطباءهم الذين كانوا يقفون فى سوق عكاظ أو الكعبة فيتفاخرون بانشاد الاشعار والقاء الخطب التي ما كانت تلقي الا على كل سميع عليم من خاصتهم وعامتهم وبقيت اللغة محفوظة في صدورهم يقدرون بلاغتها حق قدرها حتى ظهر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فأتاهم بالقرآن الذى أعجز فصحاءهم وخطباءهم عن ان يأتوا بسورة من مثله ولكنه مع ماهو عليه من درجة الاعجاز في فصاحة الالفاظ وبلاغة المعاني كان مفهوما عند جميع العرب على اختلاف طبقاتهم ودرجاتهم واستمر الحال على فهم اللغة الاصلية الى ان اختلط بالعرب اخلاف من الاعاجم فأخذت اللغة تنحرف عن ضبطها فرأى الامام على ان هذه الحادثة قد تتعاظم فيدخل التحريف على اللغة ثم على القرآن فأمر بتصنيف علم النحو فصنف فحفظت اللغة من الضياع. وكانت الكتابة مجردة عن الشكل فشكلت فصارت اللغة فى حرز أمين من التحريف والتبديل ولكن ماذا حصل بعد ذلك ياتري ؟ ؟

أهمل أبناء العرب الشكل في كتابتهم كسلا لا عمداً أستغفر الله وخمولا لا عناداً والعياذ بالله واعتمادا على أنهم وان كتبوا بغير شكل الا انهم يقرؤن

بالشكل فحدث على ممر السنين ان تلعثم لسان عالمهم وتبلبل لغة جاهلهم فنطقوا غلطاً وتكلموا تحريفا الى أن أتي هذا الزمان ولا أثر فيه لمن يقرأ اللغة على أصلها الا من حفظ النحو والصرف وتعمق فيهما وقليل ماهم حتي اذا قرئت جريدة عربية فى مجلس من مجالس الناس فهم مقاصدها البعض من الحضور وأشكلت معانيها على الكثير منهم وكذلك قل في الخطابة اذا كانت باللغة الاصلية

والادهي من ذلك والاغرب انه اذا تكلم انسان في محادثته العادية مراعيا شروط الاصول اللغوية غير خارج عن حد النحو والصرف صار هزؤا وسخرية بين عالم الجهلاء وقالوا عليه انه يطلب التوعير ويذهب الى التقعير أو انه «يتحون» أي يتكلم بلا غلط فلا غرابة بعد هذه المصائب أن ضاعت لغتنا فصارت نسياً منسياً اذا لم يقم من فضلاء الامة من يرفعها من وهدة الانحطاط الذى صارت اليه

ولاصلاح لغتنا توجد طريقتان .الطريقة الاولى هى أن نلزم الكتاب والمؤلفين وأرباب الجرائد وكل من يكتب رسالة أو ينشيء جريدة أو يطبع كتابا أن يشكلوا كتابتهم بالشكل الكامل .والطريقة الثانية هى أن نبتدع شيأ في الكتابة يغنينا عن الشكل .ولنختار الآن فى الاحسن من هاتين الطريقتين وأقربهما تناولا وأثبتهما على ممر السنين والايام فنقول

﴿ الطريقة الاولي ﴾

وهي الزام كل كاتب باثبات الشكل هذه الطريقة هى القديمة الاصلية التى كان الواجب علينا اتباعها الآن لولا مايعتورها من الخلل ويعترضها من العقبات وقد سبق القول ان لغتنا كانت تكتب بالشكل فأهمل الشكل على

مرور السنين لصعوبته فى الاثبات وعجلة الانسان فقد خلق الانسان عجولاً . يكتب الكاتب الجملة أولا بدون شكل وبينما هو يفكر في الجملة التي تليها إذ يجد نفسه مضطرا الى الرجوع للجملة الاولى ليثبت شكلها ولا يخفى على النبيه مافي ذلك من الصعوبة ومن تعثر حركة الفكر فى اذيال الاشكال تضطره عجلته الي الاستغناء عن الشكل اعتمادا على ان كل قاريء يعرف قواعد اللغة بالطبع وهكذا ابتدأ الحال فى ترك الشكل استسهالا للكتابة بدونه وانتهى الآن بأن صارت الكتابة بالشكل من لزوم مالايلزم والنطق باللغة الفصحي بدعة من البدع المرغوب عنها وقس على ذلك مسألة الطباعة بالشكل وهي أيضاً من المسائل التى تستدعى دقة الفكر لانها مؤثرة على الامة أى تأثير والذين يجمعون الحروف أو كل من له قليل من المعرفة بجمع الحروف المطبعية يعرف قدر صعوبة جمع الشكل مع الحروف وفضلا عن صعوبة جمعها فان الغلط والتحريف يتطرق الي الشكل أكثر مما يتطرق الي الحروف ومن ذلك تعلم حق العلم انه اذا كثر التحريف والغلط فى الشكل - وهو مالا بد منه - ضاعت الفائدة بسبب الشكل بل صار عدمه آمن اذ يكون الاعتماد في صحة النطق بين القراء على أصول اللغة لمن يراجع بخلاف ماذا كانت مشكلة غلطا فان القراء فى هذه الحالة اما ان يحفظوها خطأ مع علم معناها واما ان يكون هذا الغلط سبباً في تغيير معناها الذى قصده الكاتب أو المؤلف وعلى كلتا الحالتين يقع مانخشاه من ضياع اللغة فان غلطة الطبع في كتاب أو في جريدة مثلا وان كان كاتبها واحداً الا أن قراءها عشرات بل مئات الألوف

ولكى نوفى البحث حقه فى الطريقة الاولى يلزمنا أن لا نترك مسألة من أهم المسائل التى يتوقف عليها نجاح التلميذ الصغير فى تعلم لغته وقد عرفناها

بالتجربة والاختبار وهى انك اذا ألزمت تلميذا مبتدئا لم يتم دروس النحو والصرف ان يقرأ الخط المشكل كان غلطه فى الشكل اكثر منه فى الحروف ومن هنا تعلم صعوبة القراءة على النشأة الحديثة من الامة وتعلم أنه لابد من ايجاد طريقة أقرب من الشكل اذ من كل ماقدمناه من البراهين تعلم اننا لو استعملنا الشكل الآن كما كان مستعملا في السابق لما مضي علينا زمن حتي نعود الي ترك الشكل كسلا بطبيعتنا وبما يستلزمه الشكل من الصعوبات التى شرحناها فنعود بعد قليل من الزمن الي ما نحن عليه الآن من عدم امكان النطق باللغة الفصحى وتختل لغتنا التى هي الرابطة الوحيدة لنا . أما الطريقة السهلة القريبة المأخذ فهي الطريقة الثانية وهى

﴿ الطريقة الثانية ﴾

وهى طريقة اقترحها أحد نبلاء الشبيبة المصرية وهو حضرة الفاضل أحمد أفندى لطفى السيد عضو النيابة في محكمة الفيوم الاهلية وقد أثبت هذا الاقتراح بالعدد الخامس من مجلة الموسوعات الغراء فى مقالة تحت عنوان (الامة ومشخصاتها) قال .

هذا غرض يكفينا فى الحصول عليه أبسط الاشياء : محو الشكل وابداله بالحروف اللينة لتدل على الحركات فان قصدت الدلالة على المد رسمت علامة المد « على الحرف اللين الممدود

بيان ذلك

(١) حروف الهجاء كلها ساكنة الا الألف والواو والياء

(٢) لا يتحرك الحرف الساكن الا اذا أتبع بحرف متحرك فالفتحة تكون بالالف والكسرة بالياء والضمة بالواو

(٣) الحرف المتحرك الممدود تكون الدلالة على مده علامة المد هذه (آ)

(٤) التنوين يظهر في الرسم كما يظهر في النطق وعلامته نون (ن) تكتب بعد الحرف المنون مسبوقة بالحرف اللين نحو زيدون (زيد) وزيدان (زيداً) وزيدين (زيد)

(٥) يجب فك الادغام دائما في الرسم فيكتب الحرف المشدد دائما بحرفين مثاله مادا (مد)

(٦) أل اداة التعريف ان وقعت شمسية تكتب كما هي وان كان يجوز كتابتها على حسب النطق الا أنه من المستحسن أن يشذ بها عن القاعدة لحفظ شخصيتها

(٧) يلاحظ أن الهمزة هى من الحروف الساكنة فترسم دائما بمفردها ويتبعها حرف المد على حسب الاحوال

هذه طريقة نحن مابتدعناها ولكنها الطريقة الطبيعية لرسم الكلمات كما يتلفظ بها وانها لتدور فى خلد كثير من محبي اللغة العربية ومحبي نشرها انتهي كلام المقترح

وفوائد هذه الطريقة عظيمة جدا نذكر اهمها وهو أولا . ارتباط الامة العربية بلغة تقرأ وتكتب وينطق بها كما هي . ثانيا سهولة تعلم القراءة لان عليها مدار فهم العلوم والمعارف والفنون والصنائع والآداب والواجبات والحقوق فانك يمكنك أن تعلم التلميذ بهذه الطريقة القراءة في أي كتاب أو أى جريدة فى مدة لاتتجاوز الستة أشهر فينطق بما يقرؤه صحيحا بينما انك بالطريقة القديمة لايمكنك ان تعلمه القراءة الصحيحة الا فى عدة سنين وفى ذلك اقتصاد فى وقت التلميذ ـ والوقت ثمين ـ فاذا فرضنا تلميذين ابتدآ فى

تعلم القراءة في وقت واحد وكان أحدهما يتعلم بالطريقة القديمة والثاني بالطريقة الحديثة فاننا بعد ستة أشهر نجد الثاني يقرأ قراءة صحيحة والأول لا يقرأ القراءة الصحيحة الا بعده بسنتين فنكون قد اقتصدنا من مدة تعليم الثاني سنة ونصفا يمكن هذا التلميذ أن يتفرغ فيها لتلقي أي علم آخر أو ممارسة أي عمل آخر

ولتعلم أيها القاريء أن اللغات الاجنبية سهلة المأخذ يقرؤها التلميذ في بضعة أشهر. فاذا ضربنا لك مثلا أن الام في أوربا تعلم ابنها وهو صغير جدا القراءة قبل أن يدخل المدرسة فتري الطفل وهو لا يتجاوز الخامسة من عمره يقرأ كل اعلان يراه في طريقه. كنت معنا مجتهدا في نشر كل ما يسهل على المتعلم القراءة لاننا بمعرفة القراءة ولو بدون معرفة الكتابة الصحيحة نتوصل الى تمييز كثير من الاشياء والوقوف على كثير من الآداب اللازمة والتواريخ وبالاختصار فان ذلك يزيد في معارف التلميذ قبل أن يبلغ أشده وهذه نتيجة حسنة جدا

فان اعترض علينا بأن الطريقة الجديدة تعلم القراءة الصحيحة ولكنها لا تعلم الكتابة الصحيحة فالجواب هو أن القراءة الصحيحة توصل الامة الي النطق الصحيح باستمرار الزمن فمتى نطقت الامة في كلامها بغير غلط سهلت الكتابة بالطبع بغير غلط وهذا هو الفرق بيننا الآن وبين العرب في قديم الزمان فقد كان جاهل الكتابة فيهم ينطق صحيحا فاذا تعلم الكتابة كتب صحيحا بدون معرفة نحو ولا صرف أما جاهل الكتابة فينا اذا تعلم القراءة والكتابة فلا يكتب ولا يقرأ بلا غلط لأن كلامه الذي ينطق به محرف ومغاير للغة الاصلية فيحتاج في اصلاح كتابته الى تعلم النحو والصرف ولا يخفى ما يصرفه من الزمن في تعلم هذين العلمين اللذين كان يمكنه الاستغناء عنهما ولو تكلم

صحيحا الكتب وقرأ بلا غلط

وتستوى فوائد هذه الطريقة ان كان التعليم اختياريا في الامة أواجباريا فانها على كل حالة تقصر وقت التعليم فتوفر على التلميذ سنتين على الاقل

ماذا يقال فى الطريقة الجديدة من الانتقاد ؟ ؟

قد يقول الذين يرفضون الجديد ولو كان من أحسن مايفيد انه يلزمنا أن لا نخرج عن خط المصحف وان الذى يخرج عنه فانما يمرق من الدين غير أن لمثل هؤلاء عندنا جوابا سديدا وهو أن القرآن لم ينزل مكتوبا بل نزل وحيا على نبينا عليه الصلاة والسلام وكان النبي صلي الله عليه وسلم أميا وهذه الصفة من أهم معجزاته ذلك شيء منكره من المسلمين مارق من الدين فاذا يجوز لنا أن نكتب القرآن بأى صورة من صور الخط ولو بالكوفية مثلا وهى لاشكل ولا نقط فيها ومن هذا نحكم حكما برهانيا انه يجوز لنا كتابة القرآن بالطريقة الجديدة مادامت تمكننا من النطق به كما نطق به نبينا صلي الله عليه وسلم

وقد يقول غيرهم ان تغيير القديم بدعة (وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار)! ! ! ولهؤلاء أيضا عندنا جواب لطيف وهو أن الوابور والعربات والتلغراف وما يجري مجراها مخترعات جديدة وكل جديد بدعة (وكل بدعة . . .) على قولكم فلا تستعملوها واركبوا الابل والبغال والحمير فاذا فعلتم ذلك وحرمتم أنفسكم من فائدة كل جديد علمنا أنكم تقولون ماتفعلون فعذرنا كم فيما به تعترضون

ومع ذلك فنحن نشكر من يناظرنا فى هذا الموضوع الجليل من الادباء على شرط أن تكون مناظرته بالبراهين المعقولة المقبولة ليستقر الرأى على مافيه خير الامة والسلام

ابراهيم رمزي (حلوان)